



جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

العلاقات بين المغرب الاسلامي و العالم المسيحي (م 2)

العلاقات التجارية بين امارة بني عبد الواد و مرسليليا
بين القرن 12 و 14

الأستاذ الدكتور كمال فيلالي



-Dominique Valérian, Espaces et Réseaux en Méditerranée VI^e -XVI^e siècle. Vol. I
Id, Espaces et Réseaux en Méditerranée VI^e -XVI^e siècle. Vol.
Id, , Le pouvoir et les espaces portuaires dans le Maghreb médiéval, Presse Universitaire
Rennes.
-Id, Le détroit de Gibraltar : à la croisée des mers et des continents (Antiquité-Moyen
Age)
Id,, Ports et réseaux d'échanges dans le Maghreb médiéval, Casa de Velàquez, Madrid
2019

إن الدراسات حول التجارة في العهد الزياني قليلة جدا لان المصادر و كتب الرحلات لا تهتم بالتجارة و بالرحلة الاقتصادية بقدر ما تهتم بالرحلة الدينية و تنقب لرجال الدين و الاولياء و لا تهتم بسير رجال الاعمال و التجار. قد تشير بعض الكتب التاريخية أو كتب الطبقات العلماء إلى الأنشطة التجارية لشخصية ما، ولكنها و لكنها تشير إشارة بسيطة. و فيما يتعلق بالتجارة البحرية فان المعلومات قد تكون منعدمة، أما الوثائق الأرشفية الأوروبية ، فهي تهتم بالأشخاص و الشركات الأجنبية فقط. و القلة القليلة هم الباحثين الذين يبحثون في الاقتصاد و المصادر التجارية. بالنسبة للجانب الفرنسي يقوم بعض الباحثين أمثال الأستاذ و الصديق Dominique Valérian بمجهودات جبارة في هذا المجال.





لفهم خصائص تجارة مرسيليا مع الامارة الزيبانية وتطورها ابتداء من أواخر العهد الموحدى ، تجدر الإشارة الى ان الجمهوريات الإيطالية كانت طرفا فاعلا، من خلالها تم دمج مرسيليا في الشبكات التجارية الدولية ، خاصة فيما يتعلق بالمشرق و دول المغرب كما تعتبر جنوة إحدى القوى الدافعة لنشاطها التجاري ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي. فعلا بعد امضاء معاهدة التجارة مع امارة جنوة سنة 1138 م أصبحت النشاطات التجارية بين تلمسان ومرسيليا منتظمة.

بموجب هذه الاتفاقية أصبح لميناء جنوة ، و هو الأكبر في البحر المتوسط في تلك الفترة، نشاطا معتبرا مع مرسيليا بحكم الأهمية و القرب، كما مكنت هذه الاتفاقية مرسيليا من الولوج الى أسواق المغرب تحت الرعاية الجنوبية التي كان لها نشاطا كبيرا شرق البحر الابيض.



حشدت التجارة عددًا كبيرًا جدًا من الفاعلين من أصحاب رؤوس الأموال الأوروبيين و اليهود في الموانئ الإيطالية و الفرنسية فيما يتعلق بالمغرب العربي. في جنوة أو بيزا أو مرسيليا أو مايوركا ، هذه المجتمعات الحضرية البحرية أصبحت تشارك بقوة في هذا النشاط البحري سواء تعلق ذلك بالقرصنة او بالتجارة. في هذا الجو المناسب تمكنت مرسيليا من تطوير تجارتها حتى القرن 13، حيث عرفت ذروتها و هذا حسب المعطيات الرقمية 1255 و 1288.

تثبت بعض المعطيات ان التجارة كانت نشطة بين موانئ جنوب فرنسا وتلمسان. حيث أصبح لمرسيليا امتيازات بالنسبة للإمارات الإيطالية، ساعد هذا على انتشار الفنادق في وهران و ظهور وكلاء تجاريون و قنصلية.



و قد ساعد هذا الرواج التجاري على ظهور رؤوس أموال بين
الاسر المبجلة مثل اسرة "ماندويال" الذين اصبحوا لهم اسطول
تجاري و يسيطرون على تجارة الحبوب خاصة بين الموانيء
الزيانية و ميناء "مرسيليا" و "تولون".

كما أصبح للتجار اليهود لهم أسهم وشراكة مع أسرفرنسية ثرية
كأسرة "ايتيان دي فونت" وهو يهودي مع "بونيس
جيداس".

بدأت هذه الشراكة بفتح خط تجاري مع وهران وتلمسان.
وأصبحت تصب عائدات التجارة هذه في استثمارات خاصة
بمدينة مرسيليا.

ساهمت هذه الاستثمارات في ظهور الصناعات كصناعة القطن
الذي كان يجلب من موانيء الدولة الموحدية و الزيانية في وقت
لاحق.

وقد ساهمت الشراكة بين الاسر البرجوازية المارسلية والجالية
اليهودية مثل "فيريسول" هذا اليهودي اصبح ثريا بفعل تجارته
مع الجزائر و تنس و الجزائر على وجه الخصوص.



وكما سبق ذكره في محاضرة سابقة أصبحت الحروب الصليبية تعيق التجارة بعد حملة لويس التاسع سنة 1270. حيث تراجعت مداخيل التجارة بالنسبة لإمارة مرسيليا و الامارة الزيبانية مما أحدث "أزمة اقتصادية".

و هو ما حدث للأمارات الإيطالية فكانت نهاية القرن 13 نهاية مزرية لتجارة غرب البحر الأبيض المتوسط. و لم تنتعش هذه التجارة الا بمطلع القرن 14 حيث عادت العلاقات التجارية بشكل نشط و موسع على كل الموانئ و المرافئ التجارية بالجنوب.

تبين معطيات مبادلات سنة م 1333 ان حجم المبادلات بين فرنسا والجزائر بلغ 14 دوقة ذهبية و هذا خاص بالشركات السابقة الذكر. في نفس السنة قام تجار مونيوليه باكتراء باخرة تابعة ل "جون اتوس» و شريكه "بيار فانسان" شحنها حمولات كبيرة من الزيت و بعض السلع الأخرى الى تلمسان.



حسب بعض التقارير، أصبحت التجارة بين الدولة الزيانية و مرسيليا تقتصر على ميناء وهران الا ان المؤرخ "براتييه" الذي عمل على أرشيف مرسيليا يذكر أن شركة "استريا" كانت نشطة باتجاه "حنين" خاصة بعد سنة م1350.

اذا كانت موانيء وهران و حنين تلعبان دورا أساسيا في النشاط التجاري مع مرسيليا، علاوة على بعض العلاقات الأقل أهمية مع ميناء بجاية الذي كان تحت وطأة الحفصيين.

و قد احتلت هذه العلاقات المرتبة الثالثة بعد "سبتة" و "المملكة الزيانية". كما أصبح هنالك تنافس بين تجار مرسيليا و تجار الامارات الإيطالية في مجال الشحن بين المشرق و المغرب العربيين. لم يدم هذا طويلا لان التجارة في جنوب فرنسا تعرضت الى إعاقة من قبل بعض المناوشات البحرية بين اسبانيا و الامارة الزيانية حيث بدأت هذه الامارات بدعم من امارة البندقية بإعلان الحرب على المدن الزيانية. و على الرغم من هذا الا ان التجارة لم تنطف و لم تنجل بل عادت الى الظهور و الرقي بعد 1445 م.



و قد تعزز الاسطول الفرنسي بباخرة أخرى كانت هذه المرة من نصيب "تريسمان" و كانت موجهة للتجارة بين مرسيليا و موانئ الدولة المارينية و الدولة الزيانية.

و حققت شركة "تريسمان" أرباح معتبرة في نهاية القرن 15.

في جويلية 1477 قامت البواخر الفرنسية بنقل شحنات معتبرة من القمح باتجاه مرسيليا و جنوه .

و في سنة 1480 "بول دو لا هونت" قام بشحنات الى تلمسان لفائدة "جنوه"، كل هذه المعلومات كانت تشير الى ان العلاقات التجارية بين مرسيليا و الدولة الزيانية كانت رائجة و معتبرة حتى نهاية القرن 15.

: المراجع و المصادر :

- Dominique Valérian, Espaces et Réseaux en Méditerranée VI^e -XVI^e siècle. Vol. I
- Dominique Valérian, Le pouvoir et les espaces portuaires dans le Maghreb médiéval, Presse Universitaire - Rennes.
- Id, Le détroit de Gibraltar : à la croisée des mers et des continents (Antiquité-Moyen Age)
- Dominique Valérian , Ports et réseaux d'échanges dans le Maghreb médiéval, Casa de Velàquez, Madrid 2019
- Isabelle Bernier, L'essor du commerce au Moyen Âge,
<https://www.futura-sciences.com/sciences/questions-reponses/histoire-essor-commerce-moyen-age-13288/>
- P. Boissenade, les relation commerciales de la France méridionale avec l'Afrique du Nord Bulletin de la Société de Géographie, 1929
- Daoudi Belkacem , Les relations commerciales entre le Royaume Abdelwadide et les villes du sud de l'Europe, XIIIe/ Xve BIBLID, 16, 2009
- Isabelle Bernier, L'essor du commerce au Moyen Âge -